كيف تدخل للعقول من باب القلوب؟

معمر بن بشير
أستاذ بالمدرسة العليا للرياضيات، سيدي عبد الله، الجزائر
mbenbachir2001@gmail.com

بعد ما يقارب ثلاثين سنة من العمل في الجامعات، أحببت أن أنقل تجربتي لغيرى من الأساتذة فقد تكون نافعة. هو سرد ليس أكثر، لبعض الأحداث والمواقف التي صادفتني خلال مسيرتي. ومن البداية، فهذه ليست دراسة أكاديمية خاضعة لأسس علمية.

لقد اعتقدت ولفترة طويلة جدًا، من الابتدائي وأنا تلميذ إلى الجامعة وأنا أستاذ، بأن الأستاذ النموذج هو الذي لا يظهر عليه ضعف الإنسان ولا تعاطفه، هو الذي لا يعترف بأن مسألة ما صعبة، هو الذي لا يقول هذا تمرين يحتاج إلى وقت لحله، هو كل شيء إلا أن يكون قريبًا من طلبته حيث يشاركهم همومهم، آمالهم وأحيانا هذيانهم.

1. في جامعة باب الزوار

خلال سنوات تحضير أطروحة الماجستير في جامعة باب الزوار، أشرفت على أعمال موجهة لطلبة السنة الأولى تقني سامي علوم تسيير وسنة أولى علوم دقيقة. كانت البداية ثقيلة على النفس كثقل من يذهب لحرب قد لا يعود منها، وهذا يعود لما رأيناه وتعلمناه أو ما بدا لي. كان يتوجب على الأستاذ أن يظهر بمظهر مثالي وأن تكون علاقاته مع طلبته كعلاقة الدول المتصارعة سرًا. لا أتذكر أشياء كثيرة سوى أنني كنت أسهر في تحضير التمارين وتخيل الأسئلة التي قد تطرح من قبل الطلبة دفعًا للإحراج وخوفًا من أن يقولوا "أستاذنا لا يعرف".

ومضت تلك السنوات الشاقة التي كان علينا فيها أن ندرس بجد لنناقش الماجستير ونحضر بجد أكبر لنقابل طلبتنا. ما أذكره هي جملة واحدة قيلت لي آنذاك من قبل طلبتي الذين انتقلوا إلى السنة الثانية وقد اختاروا تخصص رياضيات عوضًا عن تخصص فيزياء أو كيمياء، كانت تلك الجملة " لقد خدعتنا عندما درستنا، لقد جعلت دراسة الرياضيات تبدو سهلة، والآن نحن نعاني في السنة الثانية ولن نسامحك". بعدها شعرت بقليل من الثقة والرضا عن شخصي، وقلت قد أصلح أستاذًا إن بذلت جهدًا إضافيًا.

2. في جامعة البليدة

بعد مناقشتي لأطروحة الماجستير (كانت الماجستير أطروحة، ثم صارت بعد ذلك مذكرة)، انتقلت إلى جامعة البليدة بحكم قربها من البيت العائلي، فصرت أداوم بها كأستاذ مؤقت بالساعات الإضافية لعدم حصولي على بطاقة تسوية الخدمة الوطنية بالرغم من وجود أماكن شاغرة وحاجة الجامعة الملحة لأساتذة مادة الرياضيات. على كل حال، كانت تلك البداية. درّست مقياس الطوبولوجيا مع ما لهذه الكلمة من وقع في نفوس أصحاب التخصص. كنت مكلفًا بالدروس وأغلب الأعمال الموجهة، لهذا كان لدي مساحة من الحرية، فحافظت على صعوبة المادة إلا أن معاملتي لطلبتي كانت راقية جدًا. كنا نتحاور وكنت أقبل منهم الانتقادات، نتشاحن على الحلول أو على طريقة الحل، يتحدى بعضنا البعض. كانت نتائج الامتحانات عمومًا متوسطة وتحصيل أغلبهم متوسطًا أو قريبًا من المتوسط ما عدا بعض الاستثناءات. غير أن العدل، وعدم احتقار الطلبة، وروح التحدي كانت من أهم ما تركته في نفوس طلبتي بجامعة البليدة عندما غادرتها إلى جامعة بشار.

ما أتذكره جيدًا من جامعة البليدة هو طالب كان تحصل على ستة عشر من عشرين في مادة الطوبولوجيا وكان أفضل طلبتي، غير أنه كان ضعيفًا في مادتي الجبر والتحليل، كان انتقاله للسنة الثالثة حرجًا، لقد كان أحد طلبة التحديات، والآن هو أستاذ جامعي متميز.

3. في جامعة بشار

عندما وطئت قدمي تراب جامعة بشار للمرة الأولى شعرت بغربة شديدة، صبرت وصابرت حتى أتمكن من حل وضعيتي اتجاه الخدمة العسكرية ولولا هذا لعدت أدراجي دون تأخير. بقيت يومًا، يومين، ثم أسبوعًا، بعدها التقيت ببعض الزملاء الذين لم أكن أعرفهم من قبل. سمعتهم يتحدثون عن فريق لكرة القدم خاص بالأساتذة، فكانت تلك هي اللحظة الفارقة. مكثت في جامعة بشار خمس عشرة سنة!

في جامعة بشار كانت بداية مسيرتي الحقيقية. لقد حافظت على نفس طريقي في التعامل سواء داخل القسم أو خارجه. كنت أحضّر دروسي جيدًا فلم يكن لي أي مشكل من الناحية العلمية ولا البيداغوجية. على العكس، كان طلبتي يحترمون ويقدرون جهودي، حتى أنهم كانوا يعتبرون أنني أبالغ كثيرًا. كان تحصيلهم جيدًا لكن ليس بالقدر المنتظر مقابل الجهود المبذولة. لقد كان تعاملي مع طلبتي حسب النموذج الفرنسي القديم، علاقات هرمية مبنية على صراع نفوذ، من هو الأقوى. وتمر الأيام وألاحظ بأن مدير الجامعة آنذاك علاقاته بسيطة مع الأساتذة والطلبة على السواء غير أن سلطته كبيرة، فالكل يطلب وده وقربه. فأعدت التفكير في نمطية العلاقات بين المعلم والمتعلم.

دخلت يومًا في بداية شهر جويلية لسوق بشار في الصباح الباكر لشراء تمر رطب قادم من أدرار. لم أجد تمرًا، لكنها كانت بدايتي مع طريقة مختلفة تمامًا. لاحظت وجود طالبين درسَا عندي خلال تلك السنة يسوقان عربة حديدية بعجلتين تُستعمل في نقل البضاعة إلى مكان ركن السيارات والشاحنات. بادرتهما بالتحية والسؤال عن أحوالهما وقد لاحظت عليهما حرجًا، وكأنهما خجلا بالعمل الذي كان يقومان به. لم أدع الأمر يطول، فقد أخبرتهما دون تردد بالظروف القاسية التي كان عليّ مسايرتها لإكمال دراستي، من العمل في الأسواق، البيع على حواف الطرقات، العمل في الحقول ومواقع البناء. علت وجهيهما ابتسامة عريضة، وتنقضي العطلة ويصيرا من أفضل أصدقائي في الجامعة. كان شعورًا مختلفًا وإحساسًا رائعًا ومتلائمًا مع شخصيتي، عندها علمت بأنني لم أكن أنا، لقد كنت نسخة لشخصيات مختلفة.

4. عندما يحبك طلبتك يحبون ما تدرسهم

مع تغير نظرتي للعلاقة بين الأستاذ وطلبته، صرت لا أمانع من دعم الطلبة أيام العطل كالجمعة وأيام الأعياد الوطنية بحصص إضافية، بإذن من مدير الجامعة، أسعف فيها الضعيف وأساعد المتوسط على فهم الدروس وحل التمارين. كانت تمر علينا ساعات عمل رائعة في جو مريح، هو مزيج من العمل الجاد والمرح. مع تحسن علاقتي مع طلبتي صار تسيير القسم لا يحتاج إلى جهد، بل صار ذاتي القيادة. تحسّن فهم الطلبة للدروس، وزادت مشاركتهم وتدخلاتهم، وكل هذا انعكس إيجابًا على نتائجهم. ولأن في أيام العطل لا يعمل النقل الجامعي، فقد كنت أتنقل لإحضار الطلبة الذين يقطنون بعيدًا ولا يملكون ثمن الحافلة.

5. إعداد الامتحانات، وكيفية تصحيحها

للامتحانات مهمة واحدة لا ثاني لها، ألا وهي قياس مدى استعداد المتعلم للمرحلة الموالية، لكن الطريقة التي تدار بها في معظم بلدان العالم حاليًا ليست الأفضل. وهذا ما يفسر بعض المحاولات المختلفة هنا وهناك لقياس مدى استيعاب

الطلبة لدروسهم. ما يلاحَظ أن طريقة تعامل الأستاذ مع ملف الامتحانات يعتبر عنصرًا فارقًا في علاقة الأستاذ بالطالب. لهذا كان إعدادي للامتحانات يراعي الأهداف المنتظرة من أي امتحان، غير أنني كنت أركز على نقاط أربع.

- امتحان يبعث على الأمل، وهو امتحان يفرز فئة نتائجها مقبولة وفئة غالبة نتائجها متوسطة وقلة نتائجها ضعيفة.
- نظام تنقيط عادل أقرب منه إلى رحيم، فيشعر معه الطالب برغبتي في مساعدته.
- عند تصحيح الأوراق، أعطي علامات كاملة على الإجابات الصحيحة، كما أشجع الأفكار والإجابات الجزئية بعلامات مناسبة. وهنا مسألة في غاية الخطورة وهي طريقة "الكل صحيح وإلا فالعلامة صفر"، فإنها تورث حقدًا وكرهًا ليس للأستاذ فقط، بل يتعداه إلى المجتمع.
- في حصص تصحيح الامتحان، يشعر طلبتي بأني حاولت قدر ما تسمح به الأخلاق والقيم أن اساعدهم، وعليهم أن يساعدوني حتى أستطيع مساعدتهم. عند تصحيح الأوراق قد يعترض بعض الطلبة على نتائج معينة، فأعطيهم من الوقت ما يلزم حتى يقتنعوا بخطئهم، بعدها يعتذرون لأنهم ليسوا في المستوى وبأنني أديت دوري.

هذه الطريقة جعلت من تسيير الامتحان أمرًا سلسًا، وحفظت علاقات طيبة جدًا مع طلبتي، بل أكثر من ذلك، قد تجعل من الأستاذ قدوة.

6. أستاذ يغير مسار حياة طالب

قد يبدو العنوان كبيرًا، لكنها الحقيقة: قد يغيّر الأستاذ مسار الطالب! إن تأثير الأستاذ القدوة في نفوس طلبته أكبر من تأثير الوالدين في كثير من الحالات. وفيما يلي بعض النماذج:

- **النموذج الأول**: درستني أستاذة في الثانوية مادة الرياضيات، ولم أكن أولي الرياضيات قيمة أكثر من باقي المواد، غير أن الأستاذة الهاشمي الطيبة، البسيطة في تصرفاتها، البشوشة، الراقية في تعاملاتها مع تلامذتها كانت تتعامل مع الرياضيات كما لو أنها تتعامل مع كائن حي. إن طريقة مقاربتها لتدريس المادة غرست في نفسي ثقة جعلتني أستمتع بدراسة مادة الرياضيات، بل أكثر من ذلك جعلتني أختارها مهنة لي، بل رسالة.
- **النموذج الثاني**: درّست طالبًا في جامعة خميس مليانة، لم يكن ودودًا، أو هكذا كان الأمر يبدو. اشتكى منه الأساتذة لغلظة في كلامه وحدّة في تعاملاته. لم أخذ الأمر على ظاهره، بل تقربت منه، لأنني لمست فيه ذكاء وفهمًا للرياضيات. لم يطل الأمر لأكتشف خلف ذلك القناع رجلًا شهمًا ومتعلمًا حذقًا. دخل مسابقة دكتوراه، نجح فيها، أشرفت على أطروحته بعد ذلك وهو الآن دكتور. صداقتنا مستمرة وعلاقتنا وطيدة حتى بعدما ناقش رسالة الدكتوراه.
- **النموذج الثالث**: درست سنتين في جامعة الجزائر 1. هناك التقيت بطالب سنة أولى ماستر متوسط جدًا، ويشتكي من مرض عضال، كان لا يستطيع الجلوس لأكثر من ساعة. تعاملت معه حسب حالته، ودعوته لتناول الغذاء معًا. تجاذبنا أطراف الحديث، تكلمنا عن ظروفه، حدثته عن بعض من طلبتي المكافحين. عندما همّ بالانصراف أخبرته بأن لديه من الهمة والطموح ما يسمح له بأن يصير زميلًا لي وبأن هذا الأمر يسعدني. هو الآن في السنة الثانية دكتوراه.
- **النموذج الرابع**: في كل سنة أقف أمام طلبتي عندما أشعر بأنهم مركزون معي، مهتمون بما أقول، عندها ألقي عليهم جملتي السحرية "فيكم طلبة لهم مستقبل واعد إن حافظوا على مستواهم الحالي" دون أن أذكر الأسماء. تمر السنوات وألتقي ببعض الأساتذة في داخل أو خارج البلاد فيسلمون عليّ بحرارة ويبدون لي من التقدير والاحترام والامتنان الكثير. ثم يشكرونني لأنني عندما قلت جملتي السحرية فهموا أنني كنت أقصدهم، فاجتهدوا وثابروا. صدق من قال "كلمة تحي وكلمة تميت".
- **النموذج الخامس**: اعتدت أن أقدّم رقم هاتفي المحمول لطلبتي منذ ما يزيد عن عشرين سنة، أي المدة التي امتلكت فيها هاتفًا محمولًا، ويكون هذا في أول حصة. أعطيهم رقم الهاتف مع عبارة "الهاتف المحمول وُجد ليخفف عن الناس،

فأحسنوا استعماله". ويشهد الله أنني لم أتعرض لأي إزعاج ولو لمرة واحدة، مع العلم أنني درست في جامعات بشار، خميس مليانة، البليدة 1، غرداية، الجزائر1، وَتمنغاست. كانت هذه المقدمة ضرورية لتوضيح السياق. في يوم من الأيام تلقيت اتصالًا من رقم غير مسجل. كانت طالبة تدرس عندي في جامعة خميس مليانة، بدت مستاءة، وبصوت حزين سألتني إن كان يمكنها أن تطلب مني مساعدة. فأجبتها بنعم، وفي قرارة نفسي قلت ستطلب مني أن أزيد في نقاطها، وستكون أول من يفعل ذلك، ضايقني الأمر، غير أني لم أتسرع وانتظرت طلبها وكان طلبها غريبًا. لقد أخبرتني بأن أباها أوقفها عن الدراسة لأسباب لم تذكرها، لكنني عرفتها بعد ذلك، وترجتني أن أذهب إلى بيتها العائلي لأقابل أباها، لعلي أستطيع أن أجعله يغير رأيه. فما كان مني إلا أن طمأنتها وفعلًا بعد يومين أو ثلاثة زرت بيتها العائلي والذي يبعد عن الجامعة بما يزيد قليلًا عن أربعين كيلومترًا. كان الأب متواجدًا في البيت إلا أنه رفض الخروج لمقابلتي، ابنه الأصغر أخبرني بأن أباه غير موجود بالبيت. عدت أدراجي بعد أن وعدت الطالبة عن طريق الهاتف بالعودة مجددًا في الأسبوع المقبل. في اليوم الموالي كنت أسير في رواق الكلية فوجدت مجموعة من الطلبة، بادرتهم بالتحية، وكنت في عجلة من أمري فلم أتوقف، وإذ بي أسمع وقع حذاء صاحبه مسرع وينادي: أستاذ، أستاذ. توقفت لأتبين الأمر وإذ بها طالبة تسألني كيف لم أعرفها، فابتسمت وقلت لها إنها طالبة عندي في السنة الثانية ماستر. فنظرت إليّ باستغراب وأردفت قائلة " أستاذ، أنا هي الطالبة في الهاتف". سألتها ما القصة، فأخبرتني بأن أباها أوقفها عن الدراسة عندما اعترضت على تزويجها من شخص لم يدخل للمدرسة يومًا، وبأن أباها تراجع عن قراره حتى يتجنب زيارتي له. لقد كنت سعيدًا لانفراج همها. في يوم التخرج التقيت أباها، فقام وقبّل رأسي فقلت له هم أبناؤنا حتى يتخرجوا، فبكى على مرئ من الناس. كان يمكن لهذه الطالبة تضييع كل سنوات الدراسة لسبب بسيط.

7. المقاربة بالحب والاحترام

معلوم أنه توجد كثير من المقاربات البيداغوجية مثل المقاربة بالكفاءات، المقاربة بالمضامين، والمقاربة بالأهداف وغيرها، غير أنني لاحظت بأن شعور الطالب بالانتماء إلى القسم يعتبر عاملًا حاسمًا في العملية التعليمية. ولكي يشعر الطالب بالانتماء يحتاج أن يتمكن من أساسيات المادة المدروسة. لهذا، فإن شخصية الأستاذ وكيفية تعامله مع طلبته تلعب دورًا أساسيًا وحاسمًا في مدى إقبالهم أو نفورهم.

يقول الخليفة الرابع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه "إن القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة". فهي حكمة بالغة وهي أساس رصين من أسس التعليم؛ فكلما كان الأستاذ محسنًا في استخراج طرائف يجدد بها طاقة طلابه، كان التحصيل جيدًا. وأنا هنا لا أقصد مطلقًا الابتذال والتهريج الذي لا يليق حتى بالمسارح. أذكر مرة أنني طلبت من طلبتي متطوعًا لحل تمرين في السبورة، ولما لم أجد أحدًا كتبت على السبورة الجملة التالية "لا يذكر التاريخ بأن طالبًا ما صعد إلى السبورة ولم يعد إلى مكانه سالمًا". وقد أقول لهم "أخرجوا لنا شجعناكم". كما أذهب أحيانًا إلى الباب أفتحه، فأنظر إلى الشمال ثم اليمين وأعود إلى القسم دون أن أتفوه بكلمة. يسألني طلبتي باستغراب عن معنى تصرفي، فأخبرهم بأنني خفت أن يكون هناك جاسوس في الخارج قد يخبر البقية بأن طلبتي ضعفاء، وأردف بأن أمرًا مثل هذا يحرجني ويحزنني. بعدها، يتطوع حتى من ليست له إجابة سائلًا المساعدة في الحل، ويعم القسم موجة من النشاط الممزوج بالمرح، أكون بعدها قد وجدت التعويذة المناسبة.

إن شعور الطالب بمحبة صادقة من أستاذه كفيل بأن يدفعه إلى بذل مزيد من الجهد. وكلما كان الأستاذ قدوة، كان تأثيره الإيجابي أكبر. لقد قيل قديمًا "فعل رجل في ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل في رجل".

8. التحضير الجيد للدروس وعدم تحضير الأعمال الموجهة

من العوامل الأساسية لتقديم مادة علمية هو التحضير الجيد حتى يتمكن الأستاذ من نقل المعلومات بشكل مرتب، سلس وشيق. كما يحتاج إلى قصص هادفة ممتعة تقطع روتين الحصة، تجدد الطاقة، وتسمح بترتيب الأفكار. على الأستاذ أن يتجنب سرد قصصه وبطولاته، وبأنه كان الأفضل ولولاه لما تقدمت البشرية، وبأنه من الأساتذة القلائل المميزين. فكل هذا لن يخدم العملية التعليمية، وإن طاوعته نفسه فلا بأس إن شجع طلبته بالقول إنهم من أفضل الطلبة الذين حضي بهم يومًا، لأن جوارحنا تصدق عقولنا.

أما فيما يخص الأعمال الموجهة، فإنني من دعاة عدم التحضير، فالتفكير والمحاولة مرة ومرتين وثلاث أمر طبيعي، وحتى يرى الطلبة بأم أعينهم بأن الأستاذ يحتاج إلى محاولات عديدة حتى يصيغ إجابة نموذجية، وبأن معاناتهم لحل التمارين شيء عادي لا ينقص من قيمتهم شيئًا. أذكر هنا حادثة من بين مئات الحوادث الطريفة التي وقعت لي: في حصة أعمال موجهة كنت أحاول حل تمرين، وكان التمرين مدعومًا بتوجيه، غير أن طالبًا طلب مني إن كنت أستطيع حل التمرين دون الاستعانة بالتوجيه. نظرت إليه جيدًا وسألته إن كان حاقدا عليّ أو شيء من هذا القبيل، فانفجر الطلبة ضحكًا وشعر هو بالحرج. فقلت له سأحاول وبدأت أفكر بصوت مرتفع كعادتي وأسأل نفسي ماذا لو فعلت كذا، ثم كيف سيكون كذا وهلم جرا. والنتيجة أنني قمت بحل التمرين بخمس طرق مختلفة دون الاستعانة بالتوجيه المرفق للتمرين. فقال لي الطالب قد أخجلتنا يا أستاذ، فضحكنا وأكملنا الحصة بحماس زائد لأنه كنا في كل مرة لا نقوم بحل تمرين إلا ويقوم الطلبة بالبحث عن طرق أخرى للحل. بعث روح التحدي والمزايدة من عوامل نجاح كل أستاذ.

9. كيف تكسب القلوب؟

سألت مرة طلبتي إن كانوا يتذكرون الأساتذة الذين درسوهم، فكانت إجابتهم صادمة فهم لا يتذكرون إلا صنفين: الصنف الأول وهم الأساتذة الذين أخلصوا ونصحوا، فيذكرونهم وألسنتهم تلهج بالدعاء لهم؛ والصنف الآخر الأساتذة الذين أذلوهم أو نفخوا علاماتهم، فيذكرونهم وهم يقسمون بأنهم لن يسامحوهم. لا حال يدوم، مع الأيام يكبر الصغير ليفرق بين الصحيح والخطأ. علاقة الأستاذ المؤثر بطلبته ليست علاقة سطحية جافة، بل هي علاقة أخوية، أو أبوية خالصة يشعر فيها الطالب بالقرب من أستاذه، حيث يكون الأستاذ قادرًا على احتواء طلبته وهي مهمة في غاية الصعوبة. إن تمكن الأستاذ من احتواء طلبته يجعل منه أستاذًا مؤثرًا على الصعيدين العلمي والشخصي.

من خلال تجربتي الشخصية، أعتقد بأن السمعة الطيبة للأستاذ عامل نفسي قوي جدًا على مدى إقبال الطلبة على التعلم. ثم العدل بين الطلبة فيما بينهم وبين الأستاذ وطلبته على حد سواء، تواضع الأستاذ لطلبته لن يزيدهم إلا إقبالًا على مادته، السؤال عنهم إن غابوا، عيادتهم إن مرضوا، وتعزيتهم إن فقدوا من أقوى العوامل المساعدة على الاحتواء.

إن الروح المرحة للأستاذ، وحسن تصرفه في المواقف الصعبة، تقلب المحنة منحة. أذكر مرة أنني كنت أسلم أوراق الامتحان للطلبة وكانت النتائج في أغلبها تحت المتوسط إلا نقطة واحدة كانت قريبة من النقطة الكاملة. ناديت صاحبها، فلما قام تذكرت بأنه تعرض لعظة قط مصاب بداء الكلب وبأنه بقي تحت العلاج لمدة شهر أو يزيد. وأنا أسلمه الورقة طلبت منه إن كان بإمكانه إحضار القط المصاب بالكلب إلى القسم، فنظر إليّ مستغربًا طالبًا لذلك سببًا، فقلت له بأن زملاءه يحتاجون لعضة القط حتى تتحسن علاماتهم مثله. فانفجر ضاحكًا وتبعه زملاؤه لأنهم كانوا على علم بعضة القط. تغيرت بعد ذلك ملامحهم وحدثتهم عن اجتهادي في تدريسهم، وبأنه لا يمكنني أن أشهد شهادة زور، وسألتهم الاجتهاد وبأنني على أتم الاستعداد لأرافقهم في مسارهم. فاعتذروا عن تقصيرهم وبأن الخطأ خطؤهم وبأنهم سيبذلون قصارى جهدهم ليتحسنوا ولقد تحسن الكثير منهم.

حضرت ندوة بيداغوجية نظمت من طرف وزارة التعليم العالي، شاركت فيها وزارة التربية الوطنية ووزارة التكوين المهني. قبل أن يتدخل المشارك يقوم بتقديم نفسه للحضور، وكذلك فعلت، لأتفاجأ بعد انتهائي من التدخل بشخص يقبل رأسي ويشير لي بيده، سأشرح لك في الاستراحة. علمت بأن ابنته تدرس عندي وبأن زوجته تدعو لي في ظهر الغيب أكثر مما تدعو لوالديها، نظير اعتنائي بطلبتي ومساعدتهم على تجاوز الفترة الأولى من دخولهم للجامعة.

كلمني طالب في الهاتف ليستشيرني في موضوع معين، فأشرت عليه بما بدا لي صوابًا ثم نصحته بأن يبحث الأمر مع والديه، فقال لي والديّ نصحاني بأن أستشيرك وأعمل بمشورتك. العبرة من كل هذا هو امتداد تأثير الأستاذ إلى بيوت طلبته.

إن صدق الأستاذ في تعامله يجعل منه موضع ثقة، ولن يحدث هذا إلا إذا قال "لا أعرف الإجابة" حين يكون الأمر كذلك دون مواربة ولا مكابرة. والأجمل من كل ذلك حين يغيب عنه أمر ويجده الطالب، على الأستاذ أن يعترف بأن الأمر غاب عنه وألا يتوانى عن شكر ومدح الطالب المجيب. بهذا يصنع جيلًا أبيًا.

10.اعترافات أستاذ

1- أحب طلبتي كما أحب أبنائي.
2- أشعر بسعادة كبيرة وأنا بينهم في القسم، نتناقش في جو مرح.
3- صداقتي مع طلبتي وعلاقتي بهم تشعرني براحة كبيرة.
4- عندما تأتي العطل أشعر بالحزن وانقباض في النفس.
5- لو خيرت بين أن أكون وزيرًا أو أستاذًا، لاخترت دون تردد أن أكون أستاذًا.

الخلاصة

إن التدريس ليس مهنة، بل رسالة، ولا يمكن أداؤها من شخص كاره للتعليم أو للمتعلمين. إن ما نكنه في أنفسنا للآخرين يشعرون به، ثم يكون تفاعلهم متوافقًا مع إحساسنا اتجاههم. إن الطلبة أشخاص لهم قلوب ومشاعر، ومن ورائهم أهل، قد بنوا أحلامًا وآمالًا حولهم. إن الإحسان للطلبة مع التواضع عند تعليمهم قد يدفع الكثير منهم إلى النجاح، والذين لم ينجحوا منهم لا يحملون في قلوبهم حقدًا لبلدهم. الأمر ليس رهنًا على قوة وكثافة المعلومات عند الأستاذ بقدر الجو المصاحب للتعليم. إن مهمة الأستاذ هي إعداد جيل متواضع، متمكن، محب لبلده، يشعر بالانتماء لهذه الامة ويسعد بخدمتها.

******